

أليها الصامتون .. كم يكفيكم من دماء أطفال الغوطة؟

الكاتب : محمود درمش

التاريخ : 8 مارس 2018 م

المشاهدات : 6163



### أسئلة في حيرة:

كم من دماء الأطفال والأبراء يساوي دم واحد من حزب الصامتين؟ وكم عدد النفوس التي ينبغي أن تذهب حتى يعتبر أحد الصامتين أنَّ شيئاً ما انتهك في هذا العالم؟ وما هو القدر المناسب من لحوم البشر الذي يكفي لتحريك الساسة والقادة وأصحاب المنابر والمواقع والشبكات حتى يقولوا كلمة لا يخشون فيها لومة لأنم؟ أو يفعلوا فعلًا يعبر عن تأثيرهم واكتواء قلوبهم؟!

أجيبونا حتى ثبت لهؤلاء السادة أنَّ ما يكفي لتحريكهم وهزِّهم ونفض غبار الإنسانية والرحمة عن جموع غفيرة منهم قد حصل بالفعل في بقعة صغيرة لا تتجاوز مساحتها 100 كيلومتر مربع، وعلى مرأى من العالم ومسمع، وعبر بث حيٍّ مباشرٍ تتناقله القنوات والمحطات دون حياء أو خجل.

هذا الصمت والتخاذل الفظيع لا يُفسر إلا بالخوف الذي يُصمِّم الآذان ويكمِّم الأفواه، لكن أليس لهذا الخوف حد؟! ومتى سينطق هؤلاء الصامتون؟ وماذا يظنُّون الأمر يتطلَّب منهم؟

أهل الغوطة لا يريدون المال اليوم، فقد اعتادوا في الحصار الذي دام لسنوات أن يستغفوا عن موائد اللئام، ولا يريدون منكم أن تسيروا الجيوش وتحركوا الطائرات والدبابات فهم يعلمون أن هذه الطائرات لم تعتد التحرك لدماء الأطفال والأبراء، يريدون فقط أن تترقبوا العقوبات الإلهية التي لم ندع سبباً لاستحقاقها إلا فعلناه، ولا موجباً لوقوعها إلا ركبناه.

لسا بحاجة إلى سرد التاريخ واستخراج العبر والعظات، وبيان أسباب سقوط الدول، وتوضيح السنن الكونية والربانية في الخذلان والإدالة وتسليم الذل والهوان على من ترك نصرة المظلوم وخَذَلَهُ لمصرعه، فهذا الواقع شاهد أمامهم، يكفي فقط أن نجيب على سؤال الطفل الذي يتساءل عن هزيمة أمم المليار أمام شرائم مسلطة هنا وهناك، بأن نقول له: هكذا يا بنى.

إذا أراد أبناؤنا وشبابنا أن يعرفوا كيف احتل الصهاينة فلسطين في عصرنا الحاضر، وكيف قامت جيوش الصليبيين بإراقة الدماء في بيت المقدس حتى غاصت حوافر خيولهم في الدماء، وكيف سقطت عاصمة الخلافة العباسية بيد المغول، وكيف سقطت الأندلس وأقيمت محاكم التفتيش .. فليس عليهم إلا أن ينظروا إلى واقعنا الذي نعيشه ليس أكثر.

لماذا يصعد خطباؤنا على المنابر فلا يخطر ببالهم إلا الاستسقاء وطلب الغيث من السماء، أو التتبه على المعاصي والمحرمات، أو تعليم الآباء كيف يربون الأبناء؟!!

أليس العذاب الرباني الذي يحدق بنا لسكتنا وصمتنا أقرب إلينا من غيث الرحمة والصليب النافع؟! لماذا لا نفكر في دفعه والتوقى منه؟! وأليس القتل الذي نشارك فيه بصمتنا أكبر من كل الكبائر والمحرمات؟! وأليس أكبر إفساد لأمزجة الناشئة والأبناء تناقضنا المریع بين القيم التي نتبرج بها .. وواعقنا المهين؟ والفصام النكد بين التاريخ الذي نعلمهم صفحاته ومفاصله .. والأيام السوداء التي نصنعها لمستقبلهم؟!؛ لماذا نستمر في تناقضنا وازدواجية معاييرنا؟!

التاريخ العظيم الذي نطبع لافتات منه ونعلقها في مجالسنا .. لم يُصنِّع بضفحة زر أو على مائدة طعام، والأمجاد الكبيرة التي نحفظها عن ظهر قلب وننشرها ونفرد بها .. لم تُصنِّع في أوقات الدعة والراحة، بل كتبت أعظم صفحات التاريخ في رمضاء مكة وحرّها، تحت الصخور الحارقة التي وضعت على ظهر بلال، وعلى وقع السياط المؤلمة التي تلقاها صهيب وخطاب، وبالدماء الزكية التي سكبها آل ياسر صابرين على دين لم يروا نصره ولا مجده، ولم يلْعُمُوا المدى الذي سيصل إليه! لقد كتبتها دماء زكية استرخصها أصحابها في سبيل بلوغ هذا الدين إلينا، ويدلُّوها بسخاء وغزاره، حتى وصلت إلينا أعلى القيم وأنقاها وأنصعها بياضاً، وستصل لمن بعدها بدماء الصادقين الصابرين من أمثال أطفال الغوطة ونسائهم وشيوخها وشبانها الأبطال.

إنهم يدفعون ثمن مطالبهم بالحرية والكرامة التي حرموا منها عقوداً متتابعة، تلك الحرية التي بات كثير منا يستكثرها عليهم ويخطئُهم فيها، ومهما قيل عن تخطئة الضحايا ولوهم، فلن يكون نقطة في بحر الإجرام الذي نرتكبه جمِيعاً بصمتنا عن جريمة الإبادة التي يواجهونهااليوم على يد أعنى دول الشرق والغرب، بين دول تقتل وأخرى تحاصر.

إننا لم نعد نأمل كثيراً من المطالبة بإطعامهم وعلاجهم، فضلاً عن أسباب القوة التي يدفعون بها عن أنفسهم، وصرنا نخجل من المطالبة بالشجب والإدانة والاستنكار والتنديد، ولم يعد بإمكاننا أن نخاطب أكثر من الضمائِر والقلوب، فما معنى القيم التي نتمثلها، وما طعم الحياة التي نعيشها، وما شكل المستقبل الذي نحلم به، ونحن نعمد تجاهل صرخات الأطفال، وقوافل القتلى، وأنهار الدماء؟! بل نداء ضمائِرنا وصوت نبضات قلوبنا.

وأقول لمن لا زال في قلبه بقية نبض، وفي إنسانيته جرعة رقم: لن يضررك أن تأخذ قلمك وتكلب وتعبر عن رفضك لما يحصل في الغوطة، وأن تجلس مع أصحابك وتحدّثهم عن من يُقتل بدم بارد وبأعلى الأسلحة الحارقة والخانقة، وأن تجمعي أولادك وتقول لهم أنه خلف الحدود أطفال لا يعلمون لماذا يُقتلون، وأن تصعد على منبرك وتحدّث المسلمين أننا نرتكب جريمة أكبر من جريمة من يباشر قتلهم وإراقة دمائهم، فلعلنا إذا قلنا بعض ما نفوسنا استطاع غيرنا أن يفعل بعض ما لم

يُكَنْ يَسْتَطِيعُ.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خشيت أمتی ان تقول للظالم: يا ظالماً، فقد تودع منها).

المصادر: